حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠٢٠)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

صورة (العجمة والعروبة) في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، دراسة في الدلالة والتصوير

د. غدير الشمايلة*

أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية/ جامعة مؤتة - الأردن

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى التعرف على كيفية تناول القرآن الكريم والشعر الجاهلي لمصطلحي (العروبة والعُجمة) من حيث المعنى اللغوي وطبيعة التصوير الفني الشعري لهما.

وقد استعرض البحث الآيات القرآنية التي تقابل فيها المصطلحان السابقان، كما استعرض آراء المفسرين واللغويين حول هذين المصطلحين، ثم عرج على الشعر العربي الجاهلي، مستنبطاً صوراً ومشاهد تعكس طبيعة هذا الفهم، ونظرة العرب لمن حولهم من الأعاجم، وإحساسهم بعروبتهم في الجزيرة العربية ووصفهم لمعطيات الحضارة الأعجمية، من مأكل وملبس ومظهر، ومدى استجابتهم لنداء الحضارة آنذاك،

وقد خرج ببعض الخصائص النفسية للأمة العربية، وما جُبلت عليه من طبائع مكنتها من حمل راية الدين والعقيدة الإسلامية، بعيداً عن ماديات الحضارة وفسادها.

وكان منهجه في كل هذا وصفياً تفسيرياً، والله الموفق

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

مقدمة

كثيراً ما اعتادني تساؤل حول مصطلح (العروبة والعجمة) وبعديهما وثقليهما الحضاري في ميزان القرآن والأدب؟ ودرجتيهما في سلم الحضارة الإنسانية؟ لا سيما أن المصطلحين وردا في القرآن الكريم متقابلين دالين على التضاد، قال تعالى في وصف لغة القرآن الكريم:

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ١٠٣﴾ [١].

ولفظة (يلحدون) في الآية الكريمة مأخوذة من الإلحاد أي الميل، فهم –أي أهل مكة- يلحدون ويميلون إلى الاعتقاد بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان يتعلم القرآن من فتى أعجمي كان يُدعى (جبر) وكان نصرانياً يقرأ الكتب، فكان المشركون يقولون: "والله ما يعلم محمداً ما يأتي به إلا جبر النصراني"[٢].

فجاءت الآية الكريمة لتستنكر عليهم هذه التهمة، إذ كيف يتم تلقي العربية على لسان أعجمي (أي غير عربي)؟ لاسيما أن الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل) كانت مكتوبة باللغة العبرانية وهذا لسان عربي مبين؟!

والعروبة في الآية الكريمة كما لاحظنا لا تدل على عروبة الأصول والمنابت، بل هي عروبة اللسان، وقد أكّد النبي (صلى الله عليه وسلم) على هذا المعنى في قوله: (ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي) [٣].

فالعربية تصهر كل من يتكلم باللسان العربي في بوتقة العروبة مهما كان جنسه أو لونه أو دينه، وفيما يلي استنطاق للمصادر القديمة حول معنى هذين المصطلحين:

دراسة في الدلالة اللغوية

جاء في لسان العرب: "العُرب والعَرَب جيل من الناس خلاف العجم، وحكى الأزهري: رجلٌ عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتاً، وإن لم يكن فصيحاً وجمعه العَرَب"(٤).

وفي موضع آخر:

"رجل مُعْرِب إذا كان فصيحاً وإن كان عجمي النسب"(٥).

وفي تعريف العجم: "يقال: عجميّ وجمعه عجم، والعُجم جمع الأعجم الذي لا يُفصح"(٦).

وقال أبو إسحق: "الأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، فأما العجمي فالذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح"(٧).

وهنا نلاحظ أن (اللسان) يشرح اللفظ تارة على أنه من متعلقات اللسان والإبانة والإفصاح، وتارة على أنه من متعلقات الجنس والأصول والمنابت.

وقد أورد ابن منظور بيتين ظهرت خلالهما بعض مواطن العجم، يقول:

سلْوم لو أصبحتِ وَسْط الأعجم
في الروم أو فارس أو الديلم
إذنْ لزرناك ولو يُسلْم(٨).

وسلْوم كما يبدو هي امرأة يخاطبها مصراً على لقياها ولو اضطره الأمر إلى النزول إليها بسلْم وهي في بلاد العجم (الروم وفارس والدّيلم).

وقد حصر القلقشندي الأمم الأعجمية في ست وعشرين أمة فقال: "وهم من عدا العرب من الفرس والترك والروم وغيرهم"(٩).

وشرع في تعدادهم: "الترك- الجرامقة(أهل الموصل في الزمن القديم)- الجيل (أهل كيلان من بلاد الشرق)- الخزر (وهم التركمان)- الديلم (منهم ملوك بني بويه الخارجين عن خلفاء بني العباس في بغداد)- الروم (ملوك القسطنطينية)- السريان- السّند- السودان- الصقالبة- الصين- العبرانيون- الفرس- الفرنج- القبط (أهل مصر قديما)- الكرد (الذين كان منهم بنو أيوب، وملوك مصر بعد الفاطميين)- الكنعانيون (جبابرة الشام)- اللمان (الذين قصدوا سواحل الشام في الدولة الأيوبية)- النبط (أهل بابل من العراق في الزمن القديم)- الهند- الأرمن (أهل أرمينية)- الأشبان- اليونان (حكماء شرقي الخليجي الفلسطيني)- زويلة (أهل برقة)- يأجوج ومأجوج (قيل أنهم من ولد ماغوغ بن يافث بن نوح عليه السلام"(١٠).

ويذكر الشهرستاني تقسيماً آخر لأهل العالم فيقول: "ومنهم من قسمهم بحسب الأمم فقال: كبار الأمم أربعة: العرب والعجم والروم والهند"(١١).

ويلاحظ من خلال هذا التقسيم أن العجم قد أفردوا بقسم خاص بهم دون الروم أو الهند، كما يلاحظ خلال الشعر أن الفرس يختصون بتسمية العجم أكثر من غيرهم في معظم الأحيان.

كما اختص الفرس دون غيرهم في الشعر بتسمية (أحرار فارس) يقول لقيط بن يعمر الأيادي:

أحـــرار فـــارس أبنـــاء الملـــوك لهـــم مـــن الجمـــوع جمـــوعٌ تزدهـــي القلعـــا(١٢)

حيث يصف الشاعر هؤلاء الأحرار أحرار فارس بأبناء الملوك الذين يزدهون ويستخفون بجموعهم الكبيرة اقتحام القلاع نظرا لقوتهم.

ويقول الأعشى:

أتانـــا عـــن بنـــي الأحـــرار قـــول لـــم يكـــن أممَـــا

أرادوا نحـــــت أثلتنـــــا وكنـــــا نمنـــــع الخُطمـــــا[١٣]

فهو يصفهم ببني الأحرار لكنهم لا يعدلون في العرب في أقوالهم (قولهم لم يكن أمما) كما أنهم يحاولون القضاء على أصول العروبة (أثلتهم) رغم كثرة العرب وعزتهم.

على أن كثيراً من مواضع الشعر تعكس معنى العُجمة والأعجام على معنى الإبهام وعدم القدرة على الإفصاح والإبانة، يقول عنترة بن شداد في مقدمته الطللية:

أعيـــاك رســـمُ الـــدار لـــم يـــتكلم حتـــى تكلـــم كالأصـــم الأعجـــم[١٤]

أي الذي لا يفصح ولا يبين.

وفي موضع آخر يقول:

وصـــاحبٍ ناديتـــه فغمغمـــا يريـــد لبيـــك ومـــا تكلمـــا

قد صار من خوف الكلام أعجما[١٥].

وعودة إلى القرآن الكريم فقد قابل القرآن بين اللفظين (العجمة والعروبة) مرة أخرى في سورة (فصّلت) فقال:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾[١٦].

وقد دارت حول الآية الكريمة توجيهات لطيفة كلها تدور حول اللغة واللسان، منها:

١- لو نزل القرآن أعجميا لقال العرب: لو فصّلت وبيّنت آياته بلغتنا العربية، فإننا عرب لا نفهم الأعجمية[١٧].

٢- أما قوله: "أأعجمي وعربي" فهو استفهام إنكاري والمعنى: لو نزل القرآن الكريم بالأعجمية لقال الناس مستنكرين، أقرآن أعجمي ونبي عربي[١٨].

٣- وقرأ الحسن وأبو العالية ونصر بن عاصم والمغيرة وهشام عن ابن عامر (أعجمي وعربي) بهمزة واحدة والمعنى: لو فصلت آياته فكان منها عربي يفهمه العرب، وأعجمي يفهمه العجم، حيث روى سعيد بن جبير قال: "قالت قريش: لولا أنزل القرآن أعجمياً وعربياً فيكون بعض آياته أعجمياً وبعض آياته عربياً"[١٩].

وأجد نفسي أميل إلى التفسير الأخير؛ لأنه ربما يعكس تساؤل الفريقين العربي والأعجمي: لم لا يكون القرآن الكريم منقولاً بالعربية والأعجمية كي يفهمه العرب والعجم؟ وعندئذ يكون الرد بأن حكمة الله اقتضت أن يرسل الله كل رسول بلسان قومه، قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[٢٠].

فقد تكلم موسى (عليه السلام) بالعبرانية ووردت صحف إبراهيم (عليه السلام) بالسريانية، فمن الطبيعي أن يُرسل محمد (عليه السلام) بالعربية.

ولما كانت رسالته (عليه السلام) عالمية من دون الرسالات جميعاً: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٢١]. كان من واجب الناس على اختلاف منابتهم وأصولهم تعلم العربية، وهذا تشريف لهذه اللغة التي ينبغي أن تؤتى وتقرأ في مصادرها، وعلى رأسها القرآن الكريم وإلا ضاع إعجازها وسرّها الإلهي بالترجمة.

أما الموضع الرابع الذي ورد فيه لفظ الأعاجم في القرآن الكريم ففي قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[٢٢].

تؤكد هذه الآيات عدم جدوى نزول القرآن بلغة الأعاجم إذن لكفر العرب به وقالوا: لا نفقهه، لذلك جعل الله معرفة علماء بني إسرائيل بهذا القرآن وبالنبي العربي الذي وجدوه مكتوباً عندهم في التوراة آية على صدق القرآن الكريم، فقد كان أهل مكة يبعثون إلى يهود المدينة يسألونهم عن محمد (صلى الله عليه وسلم) فأجابوهم: (إن هذا لزمانه وإنا لنجد في التوراة نعته وصفته) [٢٣].

ويرى الدكتور عمر فروخ أن ورود كلمة (عربي) في القرآن جاء في معظمه نعتاً للغة العربية بأنها لغة واضحة[٢٤]، وذلك في عشرة مواضع من مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [٢٥].

بينما دل اللفظ مرة واحدة على القومية حين جاء نعتاً لشخصية النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [٢٦]، ويعقب على معنى الآية بقوله: (أي أكتاب عجمي ونبي عربي)[٢٧].

فهو يرى أن اللفظة الأخيرة (عربي) دالة على النبي الكريم وليس على لغة القرآن.

ولعل من جميل ما ذهب إليه فرّوخ هو أن هذا الاستخدام القرآني للفظة عربي قد وسّع مدارك العرب حول عروبتهم وبأنهم جماعة واحدة ذات نطاق من الوحدة الجامعة لم يكونوا من قبل قد وعوها وتنبهوا إليها بسبب تشرذمهم واقتتالهم[٢٨].

صورة الأعاجم في الشعر الجاهلي:

فإذا عرجنا بعد كتاب الله على الشعر الجاهلي، لاستنطاقه حول تصوير العرب لمعنى وصورة العجمة والأعاجم في حياتهم الاجتماعية والسياسية، وموقفهم النفسي والقومي إزاء هذه القوميات غير العربية التي أحاطت بجزيرتهم العربية، مقتحمة حياتهم باسم العلاقات الاقتصادية تارة، وباسم الغزو تارة أخرى، فإننا سنجد أشعارا كثيرة تنقل صورة صراع دامٍ بين العرب والعجم، حيث شهد العصر الجاهلي مقاومة عنيفة ضد الفرس ونفوذهم في جزيرة العرب.

ففي حوالي منتصف القرن الثالث للميلاد، كانت تحيط ببلاد العرب من الشمال والشمال الشرقي إمبراطوريتا الفرس والروم، وكان هؤلاء في صراع دائم مع القبائل العربية التي كانت تعترض طريق القوافل الفارسية والرومية، التي كانت تنقل البضائع إلى بلاد فارس محملة بالعطور والبضائع، وما كان يصل إلى اليمن من نفائس الهند والدول المجاورة، لذا عمدوا إلى تشكيل مملكتين عربيتين مواليتين من اللخميين والغساسنة لتكونا درعا يحمي المصالح الفارسية والرومية.

وغالبا ما كانت تنتهي الغارات العربية على قوافل الفرس بمعاقبة هذه القبائل وتنكيل الفرس بها شر تنكيل، كما حدث في يوم الصفقة[٢٩]، حيث بعث (باذام) عامل كسرى باليمن قافلة إلى كسرى، تحمل ثيابا ومسكا وعنبراً، وفي الطريق اعترضتهم بعض بطون قبيلة تميم فنهبوها، واقتسموا ما فيها وقتلوا الأساورة (الفرس) فاستشاط كسرى غضباً، ودعا بالطعان بحصن يسمى (المشقر) في مدينة اليمامة وقد أصابت الناس سنة شديدة ودعا بني تميم للميرة (التزويد بالطعام والملابس) فنادى منادي الأساورة: "لا يدخلها عربي بسلاح" فصار الناس يدخلون، وكلما دخل عربي تناوله الأساورة وقتلوه، فتنبه لذلك رجل يدعى

خيبري بن عبادة فصاح: يا بني تميم، ما بعد السلب إلا القتل، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون، ثم تناول سيفا وقطع السلاسل التي بباب الحصن ودخل فإذا بالناس يُقتلون.

غير أن هذا التسلط العجمي على العرب لم يدم على الأبد، حيث يعتبر يوم (ذي قار) بداية الانتفاضة العربية على النفوذ الفارسي، حيث انتصر العرب لأول مرة على جيش كسرى بعد أن فاض بهم الكيل، واستبد بهم الظلم، وقد تحدث النبي –صلى الله عليه وسلم- عن يوم ذي قار فقال: هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصروا"[٣٠].

ويصور الشعر العربي إحساس العرب إزاء خصومهم من العجم في مواضع كثيرة، لعل أبرزها تلك القصيدة التي بعث بها الشاعر لقيط بن يعمر الأيادي، وكان كاتباً في ديوان كسرى، يحذر قومه من غزو كسرى، ويصف استعداده لغزو قبيلة إياد، وما يضمره الفرس للعرب من عداء وتطلع إلى السيطرة، ويبدؤها واصفاً حنينه إلى جزيرة العرب[٣١]:

يـا دار عمـرة مِـنْ محتلّهـا الجَرَعـا[٣٢] هاجــت لــي الهــمَّ والأحــزانَ والوَجَعــا

بــل أيهــا الراكــب المُزجــي مطيّتــه إلـــى الجزيـــرة مرتـــادا ومنتجعـــا

أبلـــغ إيـــاداً فـــي ســـراتهم [٣٣] إنّـي أرى الـرأي إن لـم أعـصَ قـد نصـعا

ولاسم عمرة دلالته في مطلع النص فهو يعكس لواعج الشاعر وإحساسه بما سيؤول إليه العمران من احتلال وخراب.

كما أن مخاوفه من عصيان رأيه رغم نصاعته يُلقي الضوء على المشكلة العربية الممتدة إلى الآن، وهي افتراق الكلمة والغفلة عما يحيط بالأمة من أخطار وعدم الالتفات إلى الأصوات الناصحة الحكيمة.

ويشرع في تحذيرهم مما انتواه الفرس وما حشدوه من أعداد كبيرة لغزو قبيلة إياد وكأنهم الدُّبا (الجراد المنتشر) لا يخافون الله، ولا يبالون بأحد، بينما يبدو العرب لاهين متفرقين، وتبدو صرخة التحذير وكأنها تخرج من أعماق يائسة، وقد أدرك صاحبها فوات الأوان وعظم الخطب[٣٤]:

يا لهف نفسي إن كانت أموركم شتى وأحْكِـــمَ أمـــرُ النـــاس فاجتمعـــا

إنـــي أراكـــم وأرضـــا تُعْجَبـــون بهـــا مثـلَ السـفينةِ تغشـى الوَعْـثَ والطُّبَعـا[٣٥]

ألا تخـــــافون قومـــــاً لا أبـــــالكم أمســوا إلــيكم كأمثــال الــدَّبا سِــرَعا[٣٦]

أبنـــاءُ قـــومِ تـــآوَوْكم علـــى حَنَـــقٍ لا يشـــــعرون أضـــــرَّ اللهُ أو نفعـــــا

إن أعداء الأمـة لا يخشـون الله ولا يخافونـه فلـيس للرحمـة أو الإحسـاس بوجـود الله مكانا في صدورهم، ويبدو حديث لقيط عن نفع الله وضره دالا على الفطرة العربية، النزاعة إلى التدين حتى قبل مجيء الإسلام، كما أن الحاجة إلى العقيدة والإحساس بوجود الله يزداد دوما لدى الشعوب عند اشتداد الخطوب والإحساس بالخطر.

ويصفهم فكأنه يصف يأجوج ومأجوج في الكثرة والفساد، فهم سراع يهدمون البناء ويخربون كل ما يقابلهم ويعيثون الفساد، ويلتقطون كل ما يقع تحت أيديهم من أشواك ونبات يمكن أن يساعد في الحرب والنهب.

يمثل هذا النص لحظات ثمينة في العصر الجاهلي وعى خلالها العرب ما يحيط بهم من مؤامرات وما انبثق في نفوسهم من إحساس بالولاء اتجاه عروبتهم وأبناء جنسهم وقد كنى الشاعر عن الفرس بـ(أحرار فارس) وهذه تسمية متداولة آنذاك للدلالة على قوتهم ونسلهم الملوكي:

أحرارُ فارسَ أبناءُ الملوكِ لهم ... من الجموعِ جموعٌ تزدهي القلَعا[٣٧]

فهم سِراعٌ إليكم بين مُلتَقِطٍ ... شوكاً وآخرَ يجني الصَّابَ والسَّلَعا[٣٨]

لو أن جَمْعَهُمُ رامُوا بَهَتَّتِهِ ... شُمَّ الشماريخِ من ثهلانَ لانصدعا[٣٩]

في كلِّ يومٍ يسنّون الحِرابَ لكم ... لا يهجعون إذا ما غافلٌ هجعا

كما تمثل الأبيات حقيقة ربما أعادها التاريخ إلينا فيما نعيشه اليوم من وقائع، وهي الإعداد المستمر من قبل الأعداء لغزو هذه الأمة، لا يهجعون ليلاً، ولا نهاراً، يسنون الحراب بينما تغط العروبة في نوم عميق.

ولعل أجمل ما في الأبيات ذلك الإحساس بالعزّة العربية، والإرث العربي الأصيل رغم الهوان والضعف، فثمة مجد ينبغي ألا يضيع، وإباء أشفق الشاعر من فنائه وانقطاعه[٤٠].

يا قوم إنَّ لكم من إرث أولكم ... مجدا قد أشفقتُ أن يفنى وينقطعا

ماذا يَرُدُّ عليكم عزُّ أولِكم ... إن ضاعَ آخرُهُ أو ذلَّ واتّضعا

يا قوم لا تأمنوا إن كنتُمُ غُيُرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا

والشعر الجاهلي مليء بالإشارات التي تمثل إحساس العربي إزاء العجم وما رسمه من صورة نفسية لأخلاقهم، ومن ذلك إحساسه بفساد طبائع العجم وبغيهم، يقول الأعشى واصفا كسرى حين أراد رهائن عربية لما أغار الحارث بن وعلة على بعض مناطق فارس، فرفض الأعشى فكرة تقديم رهائن من أبناء العرب؛ لأنه سيفسدهم، وقد سبق له وأفسد غيرهم[٤١]:

من مُبْلِغٌ كسرى إذا ما جاءه ... عني مَآلكُ مُحْمِشاتٌ شُرَّدا[٤٢]

آليتُ لا نعطيه من أبنائِنا ... رُهُنَا فيفسدهم كَمَنْ قد أفسدا[٤٣]

حتى يُفِيدَكَ من بنيه رهينةً ... نَعْشٌ ويَرْهَنَك السِّماك الفَرقَدَا[٤٤]

كما وصفهم في موضع آخر بالبغي والجهل[٤٥]:

أتانا عن بني الأحرار ... قولٌ لم يكنْ أمما[٤٦]

أرادوا نَحْـــــتَ إثلِتِنـــــا وكنـــا نمنـــعُ الخُطَمَـــا[٤٧]

وكـــان البغـــيُ مكروهـــاً وقـــولُ الجهـــل مُتَّحَمـــا[٤٨]

فَغبّـــوا نحونـــا لَحِبَـــا يَهُـــدُّ السَّـــهلَ والأكَمـــا[٤٩]

ولعل قول النبي –صلى الله عليه وسلم- حول انتصاف العرب من العجم (في يوم ذي قار) شاهد عما لحق العرب من ظلم العجم وإحساسهم ببغيهم في العصر الجاهلي .

ولا ينقل الشعر صورة التأثر العربي بمظاهر الحضارة الأعجمية وإكبارها بقدر ما ينقل صورة الإحساس العربي بحتمية زوالها، حيث يأتي الموت على كل شيء كما أتى على ما سبقها من حضارات، وهذا يعكس نظرة تأملية عميقة ونزعة عقلانية جُبل عليها العرب قبل الإسلام.

وقد أشار ابن المقفع لهذه السمة في الحوارية التي دارت بينه وبين جماعة من العرب فسألهم[٥٠]: أي الأمم أعقل؟ فقالوا له: فارس (يقصدون مجاملته)، فقال: كلا، ليس ذلك لها ولا فيها: قوم عُلّموا فتعلموا، ومُثّل لهم فامتثلوا واقتدوا، فقالوا: الروم، قال: ليس ذلك عندها، بل هم أبدان وثيقة، وهم أصحاب بناء وهندسة لا يعرفون سواهما، ولا يحسنون غيرها، فقالوا: فالصين، قال: أصحاب أثاث وصنعة، لا فكر لها ولا روية، فقالوا: فالترك، قال: سباعٌ للهراش، قالوا: فالهند، قال: أصحاب وهم ومخرفة وشعوذة وحيلة، قالوا: فالزنج، قال: بهائم هاملة، فردوا الأمر إليه، فقال: العرب.

ولئن ذهب ابن خلدون إلى أن العرب تركوا الانقياد للسياسة لاستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فقال[٥١]: "كان عندهم (أي التوحش) ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم، وعدم الانقياد للسياسة، وهذه طبيعة منافية للعمران، ومناقضة له، فغاية الأحوال كلها عندهم الرحلة والتقلب، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له".

وفي موضع آخر[٥٢] : "إنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم".

أقول: إن الله قد جبلهم على هذه الطبيعة لغاية عظيمة، وهي أن يكونوا مهيئين لقيادة أخرى غير القيادة السياسية، إنها قيادة الدين والعقيدة التي هذبتهم ووحدت شملهم.

ونعود إلى الشعر لنجد أن وصفهم لمظاهر الحضارة الأعجمية قد اقترن بذكر الموت والفناء وحتمية الزوال، تقول الخنساء وقد سيطرت عليها فكرة الموت الذي يأتي على كل شيء[٥٣]:

كـلّ امـرئ بأثـافي الـدهر مرجـومُ وكـــل بيـــت طويـــل الســـمك مهـــدومُ

لا سُـــوقة مـــنهم يبقـــى ولا مَلِـــكٌ ممـــــن تملكـــــه الأحـــــرار والـــــرومُ

ويقول عدي بن زيد يصف المنايا وقد صرعن أمجاد فارس والترك[٥٤]:

صـــرعن قبـــاذا ربّ فـــارس كلهـــا وحشّـــت بأيـــديهم بـــوارق آمـــدِ[٥٥]

وجـــئن بتُـــركٍ مـــن قـــرار بلادهـــم يســـير بجمـــع كالـــدَّبا المتســـاندِ[٥٦]

وفي موضع آخر يقول[٥٧]:

وكـان ملـوك الـروم يُجبـى إلـيهم قنـاطيرُ مـالٍ مـن خـراجٍ وزائـدِ

فـلا تغـبطن إنسـا بشـيء ينالـه مـن الـدهر لا مـالٍ ولا عـيش واجـدِ

ويصف الأعشى قصر (ريمان) وقد تهدم وصار خراباً تحوم فيه الثعالب بعد أن كان رغداً عامراً[٥٨]:

يـا مـن يـرى ريمـان أمـ سـى خاويـاً خربـا كعابـه[٥٩]

أمسـى الثعالـب أهلـه بعـد الـذين هـم مآبـه[٦٠]

مـن سُـوَقةٍ حَكَـمٍ ومـن ملـك يُعَـدُّ لـه ثوابـه[٦١]

بكـرت عليـه الفـرسُ بعـد الحُـبْش حتـى هُـدّ بابـه

فتـراه مهـدومَ الأعـالي وهـو مسـحولٌ ترابـه

ولقـد أراه بغبطـة فـي العـيش مخضـرا جنابـه

فخـوى ومـا مـن ذي شـباب دائـمٍ أبـدا شـبابُه

وأرى فكرة الموت تسيطر على مواضع وصف الحضارات الفانية سمة أهّلتِ العرب لحمل راية الإسلام الذي تعد إحدى ركائزه التطلع إلى ما هو فوق المادة وحدود الحياة الدنيا على اعتبارها مرحلة زائلة لا بد من تخطيها.

وتطالعنا صور طريفة تعكس النظرة العربية اللامبالية إزاء حضارة الغرب وعدم محاولة اختراق مجالاتهم طالما ظلوا (أي الأعاجم) بعيدين عن التدخل بشؤون حياتهم، فقد كلنوا قانعين بمعطيات حياتهم راضين بها.

يقول حكيم بن قبيصة واضعا ابنه أمام صورتين متباينتين لواقع حياة العجم والعرب، مستنكرا عليه ميله نحو حياة التحضر والاستقرار وإعراضه عن الإبل الوافرة وحياة الصحراء، وقد مثل على الحياة المتحضرة بصورة امرأة نبطية تخبز على التنور، حيث أن الأنباط قوم من الأعاجم سكنوا سواد العراق وسُموا أنباطا لاستنباطهم الماء من باطن الأرض، وهم أهل زراعة وتحضر[٦٢].

أقـرُصُ تُصـلّي ظهـره نَبطيّـةٌ بتنورهـا حتـى يَطيـر لهـا قِشْـرُ[٦٣]

أحـبَّ إليـك أم لِقـاحٍ كثيـرةٍ مُعَطَّفـةٍ فيهـا الجليلـة والبكِـرُ؟![٦٤]

وهم يصفون تقنيات الحضارة، ولا يتوانون عن نسبتها إلى الأعاجم، يقول عمرو بن الأهتم يصف ناقته ويشبهها بقرقور الأعاجم (أي السفينة الأعجمية)[٦٥]:

كأنهـا بعـدما مـال الشّـريف بهـا قَرقُـور أعجَـمَ فـي ذي لُجّـةٍ جـار[٦٦]

وحين تستهويهم بعض الوجوه الجميلة، يصورونها وكأنها دنانير قيصر، يقول النابغة يصف جمال من حوله من ندامى(٦٧):

نـداماي عنـد المنـذر بـنُ محَـرِّقٍ أرى اليَـوم مـنهم ظـاهرَ الأرض مقفـرا

كهـولا وشـبانا كـأن وجـوههم دنـانيرُ ممـا شـيف فـي أرض قيصـرا

فإن أتيح لهم أن ينهلوا من معين الحضارة في بعض زياراتهم لأرض العجم، لا ينكرون على أهل الحضارة حضارتهم وإنجازهم، يقول حسان بن ثابت –قبل إسلامه- واصفا خمرا أعجمية(٦٨):

رُبّ لهـوٍ شـهدته أم عمـرو بـين بـيضٍ نـواعمٍ فـي الرِّيـاطِ(٦٩)

مـع نـدامى بـيض الوجـوهِ كـرامٍ نُبّهـوا بعـد خفقـةِ الأشـراطِ(٧٠)

لكُميـتٍ كأنهـا دمُ جـوفٍ عُتّقـتْ مـن سُـلافةِ الأنبـاطِ(٧١)

لكنهم سرعان ما يتنبهون إلى حتمية زوال كل ذلك، يقول الأعشى الذي طالما نهل من نعيم الحضارات أثناء تجواله بين البلاد خارج الجزيرة(٧٢):

فمـا أنـت إن دامـتْ عليـك بخالـدٍ كمـا لـم يخلـد قبـلُ ساسـان ومـورقُ(٧٣)

وكسـرى شَهْنِشـاهُ الـذي سـار ملكـه لـه مـا اشـتهى راحٌ عتيـق وزَنْبَـقُ

لا عاديـاً لـم يمنـع المـوتَ مالُـهُ وَوردٌ بتيمـاءَ اليهـودي أبْلَـقُ(٧٤)

ولم يفت العرب أن يعبروا خلال الشعر عما انماز به العجم من براعة في مجال البناء، وإقامة البروج والمباني الشاهقة، ولا سيما الروم، فقد أشار لهذه الميزة ابن المقفع حين وصفهم فقال: "لهم أبدان وثيقة، وهم أصحاب بناء وهندسة".

وقد أشار الأعشى لهذا المعنى فشبه ناقته بأبراج النبط(٧٥):

وعُـذافرٍ سَـدَسٍ تَخَـالُ مَحَالُـهُ بُرْجـا تُشـيّدهُ النَّبـيطُ القَرْمَـدا(٧٦)

فناقته هي برجه وقرميده كما كانت ناقة عمرو بن الأهتم –من قبل- سفينته وقرقوره.

ويصفُ خفاف بن الندبة مَرْقَبة عالية (مكان عال يصلح للمراقبة)؛ فشبهها ببيوت الفرس المعلقة(٧٧):

ومَرْقَبـة طيّـرتُ عنهـا حَمَامَهـا نعامتهـا منهـا بضـاح مزلـق(٧٨)

تبيـت عِتـاقُ الطيـرِ فـي رقباتهـا كَطُـرةِ بيـتِ الفارسـي المُعلّـق(٧٩)

وقد صور الشعر الأعاجم وقد تزينوا بأزياء خاصة بهم، يقول حسان بن ثابت مخاطبا بني دارم(٨٠):

فـإن كنـتم جئـتم لحقـن دمـائِكم وأمـوالكم أن تُقسَـموا فـي المقاسـمِ

فـــلا تجعلـــوا الله نِـــدّاً وأســـلموا ولا تلبســـوا زيـــاً كـــزيِّ الأعـــاجمِ

وفي موضع آخر يقول ساخراً من الريط النبطي (الثوب الأعجمي) [٨١]:
أتفخـــرُ بالكِتّـــان لمـــا لبســـته وقـــد يلـــبسُ الأنبـــاطُ ريطـــا مُقصَّـــرا[٨٢]

وفي رواية (ثوب معصفرا) وقد أشار نابغة بني جعدة لهذا النوع من الثياب عند وصفه لمجالس الملوك، ويبدو أنها ثيابا معطرة[٨٣]:
إذا ملـــك مـــن آل جفنـــة خالُـــه وأعمامـــه آلُ امـــرئ القـــيس أزهـــرا

يَـــردُّ علينـــا كأسَـــه وشـــواءَهُ مناصـــفةً والشـــرعبي المُحبَّـــرا[٨٤]

وراحـــاً عراقيـــاً وريطـــا يمانيـــاً ومُعتَبَطـــاً مـــن مِســـكِ داريـــنَ أذفـــرا[٨٥]

ولما كان التاج سمة مميزة لهيئة ملوكهم وأمرائهم وأشرافهم، فقد كثر وصفه في الشعر، يقول عدي بن زيد يصف سابورا[٨٦]:
ولقـــد كـــان ذا جنـــودٍ وتـــاج ترهُـــب الأُسْـــدُ صـــوله والزئيـــرا

وبنـــو الأصـــفر الكـــرام ملـــوكُ الـــروم لـــم يبـــقَ مـــنهمُ مـــذكورا

ويصف حسان بن ثابت جلوسه عند آل جفنة من الغساسنة وكانوا موالين للروم يتزينون بأزيائهم[٨٧]:
ذاك مغنـــىً مـــن آل جفنـــة فـــي؟ الـــدّهر وحَـــقٌّ تعاقـــبِ الأزمـــان[٨٨]

قـــد أرانـــي هنـــاك حـــقَّ مكـــينٍ عنـــد ذي التـــاج مجلســـي ومكـــاني

وقد وصفوا العرب الذين ارتدوا التيجان وأكاليل الياقوت وتقربوا إلى الفرس، من ذلك وصفهم (هوذة) وهو رجل عربي استطاع التقرب إلى كسرى فنال عنده الحظوة، وذلك بإكرامه للأساورة الذين كانوا يقودون القوافل المحملة بالبضائع فيحسن جوارهم، وقد استعان به كسرى عند وقوع (يوم المشقر) في قتل العرب من بني تميم فقال الأعشى يصف ارتداء هوذة للتاج وتشبهه بالأعاجم[٨٩]:
مـــن يـــرَ هـــوذة يســـجدُ غيـــرَ مُتئـــبٍ إذا تعصَـــب فـــوقَ التـــاج أو وضـــعا[٩٠]

لـــه أكاليـــلُ باليـــاقوتِ زيّنهـــا صُـــوّاغها لا تـــرى عَيبـــاً ولا طَبَعَـــا

مـــن يـــر هـــوذة أو يَحْلُـــلُ بســـاحته يكـــنْ لهـــوذة فيمـــا نابَـــه تَبَعـــا

وكـــل زوج مـــن الـــديباج يلبســـه أبـــو قدامـــة مَحبـــوّاً بـــذاك معـــا

كما وصفوا الأقراط التي يضعها الأعاجم في آذانهم، وربما لم ينظروا إلى ذلك بعين الاستحسان، يقول الأعشى[٩١]:

وجندُ كسرى غداة الحنو صَبّحهم منا كتائب تُزْجي الموتَ فانصرفوا[٩٢]

جَحاجحٌ وبنو مُلْكٍ غَطارفةٍ من الأعاجم في آذانِها النُّطفُ[٩٣]

وتبدو صورة (التّبان) في وصفهم لأزياء الأعاجم طريفة غريبة عن الهيئة العربية (وهو سروال قصير طوله شبر كما ورد في لسان العرب تحت مادة (ت ب ن)، يقول الأعشى واصفا أسدا مفترسا بدت بباب عرينه ثياب الضحايا[٩٤]:

كأن ثيابَ القوم حول عرينه تبابينُ أنباطٍ لدى جَنْبِ مُحْصَدِ[٩٥]

كما وصف الشعراء هيئة الأعاجم وألوانهم، وهو وصف لا يخلو من الطرافة، فقد أطلقوا على الأنباط لقب (الزُّرْق) لزرقة عيونهم، وعلى الأعاجم بصورة عامة لقب (الحُمْر) لبياض أجسامهم، كما سموهم أحياناً (بنو الأصفر) لميل بياضهم نحو الشقرة، يقول الأعشى واصفا رجلاً كريما، فشبهه بالأرض المعطاء التي يرويها النبيط الزرق[٩٦]:

وما فَلَجٌ يسقي جداولَ صَعْبَنى له شَرَعٌ سَهْلٌ على كلِّ مَوْرد[٩٧]

ويروي النبيطُ الزُّرقُ من حجراته ديراً تُروّى بالأتيِّ المُعَمَّدِ[٩٨]

بأجودَ منه نائلاً إن بعضهم كفى ماله باسم العطاءِ المُوعَّدِ[٩٩]

وينعت عدي بن زيد الروم بالصفر، يقول[١٠٠]:

وبنو الأصفر الكرام الملوك لم يبقَ منهمُ مذكورا

ومن طريف ما يروى في هذا الباب أنّ عمراً بن الأهتم هجا قيساً بن عاصم هجاءً مرا قاسياً عندما علم أنه نال منه في مجلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ونسبه إلى الروم لأنه كان أحمر، فقال[١٠١]:

ظللتَ مفترشَ الهلباءِ تشتمني عند الرسولِ فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ[١٠٢]

إن تُبغضونا فإن الرومَ أصلكمُ والرومُ لا تملكُ البغضاءَ للعربِ

سُدْنا فسؤددنا عَوْدٌ وسؤددكم مُؤخرٌ عنَد أصلِ العُجْبِ والذَنَبِ[١٠٣]

ويقال أن النبي –صلى الله عليه وسلم- نهاه عن هذا القول في قيس وقال إن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام كان أحمر[١٠٤].

وهذه النسبة إلى الألوان تذكرنا بقصيدة أبي تمام التي قالها في فتح عمورية فوصف فيها الروم بالصفر[١٠٥]:

فبين أيامك اللاتي نُصرتَ بها وبين أيام بدر أقربُ النَّسب

أبقت بني الأصفرِ الممراض كاسمهم صُفْرَ الوجوهِ وجَلّتْ أوجُهُ العَرَبِ[١٠٦]

وقد يعد اللون مغمزا يشكك في الأصول التي ينحدر منها الإنسان في بعض الأحيان، يقول أبو العتاهية معرضا برجل يدعى والبة بن الحباب وكان أشقر اللون[١٠٧]:
وابن الحباب صليبة زعموا ومن المُحالِ صَليبةٌ أشقرُ[١٠٨]

أما في باب وصف العيون فقد ظهرت في الشعر إشارات إلى كراهية العرب لزرقة العين، وقد نعتوا صاحبها باللئيم، قال سويد بن أبي كاهل يهجوا رجلا يدعى ابن مكعبر:
لقد زَرُقَتْ عيناك يا ابنُ مُكَعْبَرٍ كما كل ضَبي من اللؤمِ أزرقُ[١٠٩]

وحين قُتل عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة المجوسي (وكان أزرق العينين) قال الشماخ في رثاء عمر[١١٠]:
وما كنتُ أخشى أن تكونَ وفاتُه بكفي سنبتى أزرقَ العينين مُطْرِقُ[١١١]

وقد كان يقال للعدو أزرق؛ لأنه يقلب عينيه فيغيب السواد ويبقى البياض وذلك من شدة الغضب، وأورد صاحب الحماسة وصف أعرابي لنساء وادي الغضى بالشباب وجمال العيون، فلا هي بالزرقاء ولا بالرمداء[١١٢]:
فمُرّا على أهلِ الغضى فإنَّ بالغضى رقارقُ لا زرقَ العيون ولا رُمْدَا[١١٣]

أكاد غَداة الجِزْعِ أبدي صبابةً وقد كنتُ غلابَ الهوى ماضياً جَلِدَا

ووصف لقيط بن يعمرو الإيادي جيش كسرى الذي تهيأ لغزو بني إياد بأنهم خزر العيون[١١٤]:
خزراً عيونهُم كأن لحظهُمُ حريقُ نارٍ ترى منه السنا قِطَعا[١١٥]

على أنه لا يفوتني أن أنبّه إلى سمة هامة من السمات العربية الرائعة في هذا المقام، وهي إنصافهم للخصم وتنبههم إلى ما فيهم من سجايا طيبة، من ذلك أن حسان بن ثابت قد نبّه إلى ما يتمتع به الروم من جلد وصبر عند الشدائد، وقد يظن القارئ أن الأبيات التالية تحمل معنى الازدراء والسخرية، ولكن الأمر ليس كذلك، وذلك في معرض هجائه للأحامس (وهم المتشددون في دينهم) من قريش وكنانة وجديلة قيس وغيرهم وكانوا لا يخرجون إلى عرفات أيام الحج ويقولون: نحن أهل الله[١١٦]:
شِبْهُ الإماءِ فلا دينٌ ولا حَسَبٌ لو قامروا الزّنْجَ على أحسابهم قُمِروا[١١٧]

تلقى الحماسيَّ لا يمنعك حُرْمَتُهُ شبهُ النبيطِ إذا استعبدتهم صَبروا[١١٨]

والنبيط قوم من العجم، يصبرون عندما يُستعبدون ويمتازون بالجلد والثبات، ونجد في نص الحديث الذي رواه مسلم من حديث الليث ابن سعد ما يقارب ذلك: "حدثني موسى بن علي عن أبيه قال: قال المستورد القرشي عن عمرو ابن العاص: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو: أبصر ما

تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: لئن قلت ذلك إنّ فيهم لخصالاً أربعاً، إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرّة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك"(١١٩).

خاتمة

لقد ارتبط ذكر العُجْمة والأعاجم في القرآن الكريم باللغة واللسان دون تحديد لجنسهم أو عقيدتهم أو مواطنهم؛ وبذا يكون كل من لم يتكلم العربية فهو أعجمي دونما نظر لجنسه أو مكانه.

- حددت المصادر القديمة الأمم الأعجمية بست وعشرين أمة، ذكرها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ما عدا أمة العرب.
- حفل الشعر الجاهلي بذكر الأمم العجمية كالفارسية والرومية والتركية وأمة يأجوج ومأجوج والديلم وغيرهم، على أن الأمة الفارسية حظيت بنصيب الأسد من حيث الحضور الشعري، وذلك بحكم الاحتكاك بين العرب والفرس قبل الإسلام، والصراع بينهما على طريق القوافل والتجارة.
- تُعدّ قصيدة لقيط بن يعمر من أبلغ القصائد الجاهلية في تصوير الصراع بين العرب والأعاجم، وما يحمله الأعاجم دوما من نوايا تجاه الأمة العربية، وتخطيط دائم للغزو والسيطرة، وما تعانيه الأمة العربية من غفلة وعدم اجتماع للكلمة والرأي والإعداد العسكري.
- يعد الأعشى خير من وصف أخلاق العجم وفسادهم وبغيهم، لاسيما أن قومه قد اصطدموا مع الفرس أكثر من غيرهم، وعرفوهم عن كثب في موقعة (ذي قار).
- حفل الشعر الجاهلي بوصف مظاهر الحضارة الأعجمية من بناء وملبس ومأكل ومشرب، على أن ذلك قد اقترن في معظم الأحيان بذكر الموت والإحساس بحتمية زوال كل ذلك، كما زالت الحضارات السابقة عليها، وهذا يعكس نظرة تأملية عميقة تمتع بها العرب منذ العصر الجاهلي.
- لم يرتبط وصف الشعر للملامح الأعجمية من شقرة وزرقة في العينين بغرض المديح والاستحسان، بل جاء في أغلبه محمولاً على الذم والهجاء.
- أنصف الشعراء الأعاجم في باب وصفهم لمقتنياتهم الحضارية، فأشادوا بجودة الخمرة الأعجمية وقيامهم بالزراعة، واعتلاء بنيانهم، وانتزعوا من كل ذلك صوراً لوصف إبلهم وطبيعة حياتهم، فشبهو الناقة بالقرقور الأعجمي (السفينة) والوجوه الجميلة بدنانير قيصر، وقارنوا بين حياة الصحراء وحياة الحضر الذين يخبزون على التنور كما فعل حكيم بن قبيصة.
- كما أنصفوهم حين ذكروا بعض سماتهم الأخلاقية، ومنها الصبر عند الشدائد والاستعباد كما فعل حسان بن ثابت في قوله، "مثل النبيط إذا استبعدتم صبروا"، يؤيد ذلك ما ورد في الحديث حول وصف الروم بالثبات عند الشدائد.
- وأخيراً، يعكس هذا البحث جانباً صغيراً من جوانب وصف المقابلة بين العروبة والعجمة في القرآن والشعر، على أن الباب كان وما زال مفتوحاً ليدلي كلٌّ بدلوه في هذا الجانب.

ولله الحمد من قبل ومن بعد

Abstract

The image of the Holy Qur'an and the pre-Islamic poetry, a study of significance and photography

By Ghadeer El-Shamila

This study aimed at identifying the method in which the Holy Quran and the pre-Islamic poetry addressed the terms of (Arabism and Non-Arabism) in terms of the linguistic meaning and the nature of poetic artistic visualization of them.

The study reviewed the Quranic verses in which the two terms were mentioned as well as the opinions of the interpreters and linguists about these two terms. Then, the researcher addressed the pre-Islamic Arabic poetry, devising images and scenes that reflect the nature of this understanding as well as the view of Arabs of non-Arabs, their feeling of their Arabism in the Arabian Peninsula, and their description for the nature of non-Arab civilization, in terms of food, clothing, appearance, as well as their response to the call of civilization in that time.

The researcher concluded some of the psychological traits of the Arab nation, their customs and traditions that enabled them to hold the banner of Islamic religion, away from the materialistic nature and corruption of nature.

The researcher used the descriptive interpretive approach, and we hope that Allah may lead us to the straight path.

الهوامش

([1]) سورة النحل، آية ١٠٣.

([2]) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد القرطبي، تحقيق سالم البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١٠، ص١١٧.

([3]) ذكر ابن تيمية هذا الحديث فقال: "هذا الحديث ضعيف لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح في بعض الوجوه"، انظر الألباني، محمد ناصر، سلسلة الأحاديث الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥، ١٩٩٣، ج٢، ص٣٢٥.

([4]) ابن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (ع ر ب)

([5])ابن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (ع ر ب).

([6]) المصدر السابق، مادة (ع ر ب).

([7]) المصدر السابق، مادة (ع ر ب).

([8]) المصدر السابق، مادة (ع ر ب).

([9]) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تقديم د.محمد عبدالقادر حاتم، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٦٣م، ج١، ص٣٦٦.

([10])القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، ص٣٦٦.

([11]) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا، دار المعرفة، بيروت، ط٨، ٢٠٠١م، ج١، ص١٨.

(١٢) لقيط بن يعمر، ديوانه، تحقيق عبدالمعين خان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١، ص٤٠.

(١٣) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوانه، شرح يوسف فرات، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص٢٨٧.

(١٤) عنترة بن شداد، ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ص١٨٦.

(١٥) عنترة بن شداد، ديوانه، ص٣٣٩.

(١٦) سورة فصلت، آية ٤٤.

(١٧) القرطبي، ج١٥، ص٢٤٠.

(١٨) المصدر السابق، ج١٥، ص٢٤٠.

(١٩) القرطبي، ج١٥، ص٢٤٠.

(٢٠) سورة إبراهيم، آية ٤.

(٢١) سورة سبأ، آية ٢٧.

(٢٢) سورة الشعراء، آية ١٩٧-١٩٩.

(٢٣) القرطبي، ج١٣، ص٩٣.

(٢٤) عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٤١-٤٢.

(٢٥) سورة يوسف، آية ٢.

(٢٦) سورة فصلت، آية ٤٤.

(٢٧) عمر فروخ، ص٤٢.

(٢٨) عمر فروخ، ص٤٢.

(٢٩) أبو عبيدة الله معمر بن المثنى، أيام العرب، تحقيق عادل جاسم البياتي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص٦٦-٦٧-٦٨.

(٣٠) الطبري، أبو جعفر، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٩١م، ج١، ص٤٨٢.

(٣١) لقيط بن يعمر، ديوانه، ص٣٦/٣٧/٣٨/٣٩.

(٣٢) الجرعا: رمل يرتفع وسطه، وترق نواحيه فيعشب.

(٣٣)ابعث خلالهم رسائلي.

(٣٤) لقيط بن يعمر، ديوانه، ص٣٩/٤٠.

(٣٥) الوعث: أرض مسترخية رطبة، الطبعا: الدنس.

(٣٦) الدّبا: صغار الجراد.

(٣٧)تزدهي: تتهاون وتستخف، القلعا: السحاب العظام.

(٣٨)الصاب السلعا: نوعان من الشجر.

(٣٩)الشماريخ: رؤوس الجبال، ثهلان: اسم جبل.

(٤٠) لقيط: ديوانه، ص٥٥.

(٤١)الأعشى، ديوانه، ص٨٥.

(٤٢)مآلك: رسائل.

(٤٣)آليت: أقسمت.

(٤٤)نعش: من بروج السماك والفرقد: نجمان، والمعنى لن نرهنه من أبنائنا ولو رهنا نجوم السماء.

(٤٥)الأعشى، ديوانه، ص٢٨٧/٢٨٨.

(٤٦)تم شرحه.

(٤٧)تم شرحه.

(٤٨)منتحما: مقصوداً.

(٤٩)غبوا نحونا: قصدوا إلينا، لجباً: جيشاً كبيراً، الأكم: الهضاب.

(٥٠)التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج١، ص٧١.

(٥١)محمد، عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٧٨/١٧٩.

(٥٢)المصدر السابق، ص١٨٠.

(٥٣)الخنساء، ديوانها، تحقيق عبدالسلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٨٩.

(٥٤)عدي بن زيد، ديوانه، تحقيق محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر، ص٢٤.

(٥٥)قباذا: ملك من ملوك فارس، آمد: من مدن ديار بكر.

(٥٦)كالدبا المتساند: كالجراد.

(٥٧)المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٥٨)الأعشى، ديوانه، ص٣٢.

(٥٩)ريمان: قصر للأحباش في اليمن استولى عليه الفرس، كعابه: غرفه.

(٦٠)مآبه: أهله.

(٦١)السوقة: عامة الناس.

(٦٢) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين، عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ج٤، ص١٨٢٦.

(٦٣) تصلي ظهره: تنضجه في التنور حتى يصير له قشر.

(٦٤) اللقاح: النوق الحوامل ، الجليلة والبكر: الكبيرة والصغيرة.

(٦٥) الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، ديوانهما، تحقيق سعد محمود عبدالجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص٨٩.

(٦٦) الشريف: واد بنجد، القرقور: السفينة الطويلة.

(٦٧) النابغة الجعدي، ديوانه، تحقيق د.واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٥٧/٥٨.

(٦٨) حسان بن ثابت، تحيق عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م، ص١٤٣/١٤٤.

(٦٩) بيض نواعم من الرياط: نساء ناعمات في الملاءات.

(٧٠) خفقة الأشراط: ظهور كواكب تسمى الأشراط.

(٧١) الكميت: الخمرة لونها كالدم، السلافة: من أسماء الخمرة، الأنباط: أهل الشام من الأعاجم.

(٧٢) الأعشى: ديوانه، ص١٧٨.

(٧٣) ساسان: ساسان مؤسس دولة الفرس، مورق: من ملوك الروم.

(٧٤) عاديا: والد السموأل (الشاعر الجاهلي)، ورد تيماء: اسم حصن ويسمى الأبلق بناه عاديا اليهودي.

(٧٥)الأعشى: ديوانه، ص٨٤.

(٧٦) عذافر: العظيم من النياق، السدس: التي بلغت عامها الساس، محاله: فقات ظهره، النبيط: الأعاجم، القرمدا: حجارة القرميد.

(٧٧) خفاف بن ندبة السلمي، شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م، ص٣٤.

(٧٨) المرقبة: الموضع الذي يرقب عليه، نعامتها: ما اعتلى منها، الضاحي: البارز للشمس، المزلق: الأملس.

(٧٩) عتاق الطير: جوارحها، الطرة: الناصية.

(٨٠) حسان بن ثابت، ديوانه، ص٢٢٧.

(٨١) المصدر السابق، ص١١٧.

(٨٢) مقصرا: قصير.

(٨٣) النابغة الجعدي، ديوانه، ص٥٨.

(٨٤) الشرعبي المحبرا: ثياب تنسب إلى حضرموت.

(٨٥) أذفرا: قوي الرائحة.

(٨٦) عدي بن زيد العبادي، ديوانه، ص٦٥.

(٨٧) حسان بن ثابت، ديوانه، ص٢٤٨.

(٨٨) المغنى: المنزل.

(٨٩) الأعشى، ديوانه، ص١١٦/١٦٥.

(٩٠) متئب: خجل.

(٩١) الأعشى، ديوانه، ص١٧١.

(٩٢) الحنو: موضع جرت قربه موقعة ذي قار.

(٩٣) جحاجح: السادة الشجعان، الغطارفة: الكرام.

(٩٤) الأعشى، ديوانه، ص٧٤.

(٩٥) التبابين: جمع تبان وهو سروال قصير يلبسه الأنباط.

(٩٦) المصدر السابق، ص٧٤/٧٥.

(٩٧) الفلج: الجدول، صعبنى: اسم مكان، الشرع: الطريق.

(٩٨) النبيط الأزرق: الأعاجم لزرقة عيونهم، الأتي: السيل، المعمد: الذي اجتمع ماؤه.

(٩٩) يصف الممدوح بأنه مثل السيل لجوده وكرمه.

(١٠٠) عدي بن زياد، ديوانه، ص٦٥.

(١٠١) الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، شعرهما، ص٨١.

(١٠٢) مفترش الهلباء: كثير الشعر وهو هجاء قبيح.

(١٠٣) سؤددنا عود: متجدد، العجب: أصل الذنب ومؤخر كل شيء، والمعنى أن مجد الروم قد تقهقر وتأخر

عن مجد الإسلام.

([١٠٤]) الأصفهاني، أبو فرج، الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج١٤، ص٨٣.

([١٠٥]) التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق راجي الأسمر، الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص٤٩.

([١٠٦]) قال الممراض ليدل على أن صفرتهم كانت من مرض وخوف، عدا أنَّ اسمهم الذين عرفوا به (بنو الأصفر).

([١٠٧]) أبو العتاهية، ديوانه، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص٢١٨.

([١٠٨]) لسان العرب، مادة (ز ر ق)، كما انظر الصحاح، عيون الأخبار، مجالس ثعلب.

([١٠٩]) ضبي: نسبة إلى بني ضبية.

([١١٠]) الشماخ بن ضرار، ديوانه، تحقيق قدري مايو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص١٤٢.

([١١١]) السّنبت: السيئ الخلق.

([١١٢]) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة (حماسة أبي تمام)، ج٣، ص٤١٧.

([١١٣]) الرقارق: جمع رقراقة وهي الفتاة في ابتداء شبابها.

([١١٤]) ديوان لقيط بن يعمر، ص٥٣.

([١١٥]) الخُزر: الذين ينظرون بمؤخر عيونهم.

([١١٦]) حسان بن ثابت، ديوانه، ص٣٧.

([١١٧]) يصفهم بقلة الدين لتمسكهم بالجاهلية، وعدم الذود عن أحسابهم، قُمِروا: غُلبوا (أي يتغلب حتى الزنج عليهم لهوانهم).

([١١٨]) يصفهم بعدم الدفاع عن حرماتهم، ويشبههم بالأعاجم لصبرهم على الاستعباد، وهو هجاء يشبه المديح، وقد لا يعني الهجاء قبيلة بقدر ما يعني القبائل المتشددة في دينها مثل بني عامر بن صعصعة، فقد سموا أحامس لأن أمهم كانت قرشية.

([١١٩]) صحيح مسلم، شرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ج١٨، ص٢٢.

ثبت المصادر

١- الأصفهاني، أبو فرج، الأغاني، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣م.
٢- الألباني، محمد ناصر، سلسلة الأحاديث الضعيفة، مكتبة المعرف، الرياض، ١٩٩٣.
٣- البيضاوي، ناصر الدين بن سعيد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (دون تاريخ أو ذكر للمكان).
٤- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
٥- التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠١م.
٦- الأعشى، ديوانه، شرح يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت، ط، ١٩٩٢م.
٧- حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.
٨- الخنساء، ديوانها، تحقيق عبدالسلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩- الشماخ بن ضرار، ديوانه، تحقيق قدري مايو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١٠- عدي بن زيد، ديوانه، تحقيق محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر.
١١- عنترة، ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

١٢- لقيط بن يعمر الإيادي، ديوانه، تحقيق عبدالمعين خان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م.
١٣- النابغة الجعدي، ديوانه، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط، ١٩٩٨م.
١٤- خفاف بن الندبة السلمي، شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٧م.
١٥- الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، شعرهما، تحقيق سعود محمود عبدالجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
١٦- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا، علي الفاعوري، دار المعرفة، بيروت، ط٨، ٢٠٠١م.
١٧- صحيح مسلم، شرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
١٨- الطبري، أبو جعفر، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩١م.
١٩- الطبري، أبو محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٠- عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
٢١- القرشي، أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة (بدون تاريخ).
٢٢- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة، مصر، تحقيق محمد عبدالقادر حاتم، ١٩٦٣م.
٢٣- المثنى، أبو عبيدة معمر، أيام العرب، تحقيق عادل جاسم البياتي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
٢٤- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين، عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٢٥- المصري، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٢٦- محمد، عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠١م.